

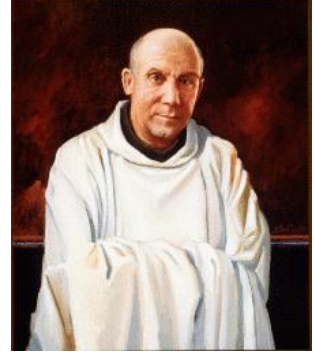
شاهد الإيمان

الأب الراهب توماس ميرتون

الأب حبيب هرمز النوفلي

مقدمة

يعتبر توماس ميرتون من أشهر الروحانيين في القرن العشرين. كتب في كتابه الشهير " الجبل ذو الطبقات السبعة" والذي ترجم الى خمسة عشر لغة وطبع مرات عديدة وبيع منه حوالي مليون نسخة: "إن حياة كل واحد منا هي جزء من سر. فنحن نساfer ونسافر وكأننا لا نعلم الى أين نذهب، ولكن من جانب آخر فإننا عادة ما نكون قد وصلنا الى هدف رحلتنا."



إن الهدف من هذه الكلمات الرائعة هي إيمانه بواقعية عيش ملكوت الله في قلوبنا أولاً وإنما كنا وفي أية لحظة عمر. سأحاول في هذه المقالة الإجابة عن تساؤلات مثل: من هو ميرتون، ما هي أفكاره، ما هي نقاط روحانيته، ولماذا علينا التأمل في حياة شهود الإيمان؟

من هو ميرتون؟



هو راهب وشاعر ولد في فرنسا سنة 1915. وبعد فترة المراهقة دخل جامعة كولومبيا الأمريكية ثم دير جثسيماني مكرسا حياته كراهب ترابستي سنة 1941 باحثا عن الله وفق طريقة القديس بندكتس. اشتهر من خلال سرد قصة حياته ودخوله الرهبنة عبر الكتاب المنوه عنه اعلاه. امضى في الحياة الرهبانية سبع وعشرون سنة حيث تغير فهمه لذاته والعالم. لقد كتب اكثر من 60 كتابا ومئات المقالات والقصائد. ركز في كتاباته على حياة الراهب خصوصا وروحانية المسيحي عموما، ولكن بإسلوب متميز يتناسب وقراءة علامات الأزمنة المعاصرة. فقد اهتم بالشؤون الحياتية عموماً ، فقد حصل لديه تحول بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأ يهتم بالموقف المسيحي تجاه مشاكل العالم وضرورة أن ترفع الكنيسة صوتها تجاه الظلم والحروب.

في الستينات تقدم ميرتون بحياته الروحية من خلال
الوحدانية، وقرر الإخلاء سنة 1965 حيث كان شعاره
صلّ، اعمل وابحث وهو ذات شعار الرهبنة التي انتمى اليها.
اهتم ميرتون بالبحث في كنوز اديان العالم كاليهودية
والإسلام والبوذية فزار جنوب شرق آسيا ساعيا الى حوار
الأديان رافضا العنف، وهناك التقى بكبير الكهنة البوذيين



(الدلاي لاما). وطالع بإهتمام كتابات آباء الكنيسة والمتصوفين المسلمين. ولكن كانت وفاته صدمة لمحبيه
حيث صعق بالكهرياء في بانكوك سنة 1968.

انشغل باللاهوت الروحاني وما يتعلق به من اهتمامات، ولعيشه وسط احداث الحرب العالمية الثانية والتهديد
الشيوعي وانعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، فقد اهتم بهم جميعا رافضا السلام الكاذب والحرب الباردة، داعيا
الى تجديد الكنيسة وإعلاء القيم المسيحية.

ميرتون والروحانيات

تؤكد الرهبنة البندكتية على دور النسك في الحياة وما يرافق ذلك من فروض كالطاعة والصمت والتواضع
في العيش والحياة الجماعية. يعتبر أب الدير المرشد الروحي للرهبان المنتشرين في مئات الأديرة عبر العالم
حيث يوجد في أوروبا لوحدها اكثر من 180دير.

سعى ميرتون من دخوله الرهبنة الى الإقتراب من الله داخل وخارج ذاته مستفيدا من خبراته هنا وهناك،
ومصغيا للجميع. سأستعرض باختصار اهم نقاط روحانيته:

التأمل: التأمل هو تمرين عقلي حول فعالياتنا اليومية. ويشمل القلب وكل كيان الشخص. والهدف منه هو
الإقتراب من معرفة الأمور بهدف توجيهها نحو حقيقتنا النهائية أي المعرفة الممزوجة بالمحبة لله. الحياة
الأبدية هي المعرفة الحقيقية لله. ولكن يشترط ميرتون حصول الشخص على الإرادة الروحية لدوام التأمل.
فيعيدنا ميرتون الى الكتاب المقدس فيشير الى تأمل آباؤنا في الإيمان والمذكورة في سفر التكوين (24: 63)
، يشوع (7: 1) ، المزامير (2: 1)(143: 5) ، أيوب (23: 14) ، سفر الأمثال (6: 6) وانجيل لوقا (12
: 24) وغيرها. كما كانت أمنا مريم نموذجا له في اشارته الى نشيدها وتأملها بالتدبير الإلهي. إن هؤلاء
المتأملين رأوا المسيح أما حقيقة أو بطريقة رمزية روحية على الجبل مثل موسى، أو في المغارة.
إن حياتنا المسيحية حسب ميرتون بحاجة إلى إنضباط، وهذا ليس للراهب فقط بل لكل مسيحي لذلك يدعونا
الى التأمل في حياة مار بولس والى ممارسة سر الإعتراف .

نستطيع تعميق التأمل بتأملنا في نعمة الله لنا. وربطه بالحياة اليومية وعلاقته بالأمر الأدبية الضرورية. فالروحاني يسعى الى الله وسيجده عندما يعمل ارادته، وهكذا سيكتشف هويته الشخصية العميقة طبقا لهذه الحقيقة. فاعتبر ميرتون هذا الأمر مثل البذرة التي تبعث الحياة الجديدة بواسطة الله.

التوحد وقبول الذات قال ميرتون "إن الحياة والموت في حالة حرب

داخلنا" وهذا يولد صراع داخل قلب المؤمن الذي ينتصر بعيش المحبة وقبول حقيقته الإنسانية بكل نواقصها.

يؤكد هنا على دور الليتورجيا والإطلاع على خبرات الروحانيين الشرقيين خصوصا الذين عاشوا في صحراء مصرأولا ثم آباء كنيسة المشرق والكنيسة الشرقية. إن قبول الذات هو بداية لقبول الآخر والعالم والله.



السلام ، لقد تأمل ميرتون في تقاطع الثقافات وسيطرة عنصرية العلمنة

فنادى بقبول التفاعل مع القضايا العالمية للوصول الى السلام والعدالة. إن هذا حسبه يتم عندما يصغي المؤمن الى المسيح من خلال قبول الفقير والمضطهد، وحينذاك سيندفع نحو العمل لأجل السلام والعدالة الإجتماعية. لقد اعتبر الخوف السبب الرئيسي للحروب، والحل يتم من خلال مرافقة الآخر المختلف عنّا.

صلاة القلب يعتبر ميرتون الصحراء المحل المثالي للتأمل. والصحراء هنا هي رمز للقلب الذي يفترض ان يُفرَّغ ليصبح محلاً لله فقط. يعتبر صلاة القلب علامة تشوق المؤمن لحضور الله ومعرفته لزيادة محبته تجاهه، وهنا سيتسامى الشخص ويجد رحمة الله. ولكن ميرتون يحذرننا من عقبات الصلاة وهي: "الحكم المسبق على افعالنا وأفعال الآخرين، القصور الذاتي عن التقدم للأمام، الإرباك أثناء ممارسة نشاطاتنا، البرود في عيش الإيمان، الحاجة للثقة، وفقدان الشجاعة."

الإرشاد الروحي: الغاية من الإرشاد الروحي هو التمييز بين ما هو من روح الله عن الآخر المؤذي

لحقيقة دعوتنا أن نكون أبناء الله. وللوصول الى إرشاد حقيقي نحتاج الى الإتكال على كلام الرب وبالصلاة المستمرة وتنشيط روحيتنا بتوقية علاقتنا معه، واكتشاف علامات النعمة في حياتنا والعمل بموجبها. يقول ميرتون " إن السبب في السعي الى الإرشاد الروحي هو كون الحياة لا رحمة فيها وتسير بنا نحو الأزمات وعالم الأسرار."

الإرشاد الروحي يقودنا الى طاعة الروح القدس في أعماقنا. فهو ليس علاج نفسي أو أخلاقي أو إجتماعي، ولكنه اكتشاف لحريرتنا الروحية في اعماقنا. كي نستفاد من هذه النعمة نحتاج الى الجدية من خلال تحويل ارادتنا الى ارادة الله. هنا الضمير له دور في تفعيل دور الإرشاد حيث يفترض بنا أن لا نكتفي بالإعتراف بالخطايا ولكن أن نقوي الحس العام، أن نتغلب على التردد بالصبر ونعمة الصلاة والإطلاع على خبرة الآخرين.

بخصوص الصلاة، يشير ميرتون الى صعوباتها حيث يركز على حالة الروتين التي تصيبنا احيانا فيرجو منا الإنتباه والفرح بحياة بسيطة والتواضع عبر القناعة. ولا ينسى ميرتون دور المشاكل العاطفية فيقول إن سلام القلب والحوار الصادق والبساطة كفيلة بحلها.

أهمية كتابات ميرتون

لماذا علينا قراءة كتابات نوماس ميرتون؟ لقد عاش شاهدنا في عصر انتشار الشيوعية والحربين العالميتين فتحمس لدعوته ليبين للعالم إنها السبيل الى انقاذ الإنسانية من ويلات الحروب. وما زاد الطين بلة كما يقولون هو الحرب الباردة بين القطبين آنذاك، وانتشار الحضارة المادية، وذروة أفكار العصرية التي رفضت وجود المطلق في حياة الإنسان وأمنت بالنسبية. كان جوابه الناجح هو عيش الحب والسعي الى السلام من خلال التركيز على التأمل في سر الحياة، والإيمان بالحياة الجماعية حيث نحن جميعاً في ذات الرحلة التي يقودها المسيح. اكد ميرتون على التوبة بشجاعة رافضين الخوف، ساعين الى تحرير أنفسنا، خالقين الحوار مع الآخر. يعلمنا ميرتون أن نحتج ضد الظلم الإجتماعي والإقتصادي راجين العدالة والأخوة بين البشر.

اليوم، ما أشبهه بالبارحة. فقد بلغ عدد المهاجرين والمهجرين في العالم 200 مليون وأزمات البشر تزداد حدة وعشرات الدول تحيا في حالة حرب معلنة أو غير معلنة، ونحن نجتاز العصرية نحو ما بعدها حيث النسبية تحاصر القيم المسيحية، وتحاول تغيير الفكر البشري خدمة لأهدافها المادية والإلحادية. لدينا رسالة كي نمنع محاولة أعداء الكنيسة قطع جذورنا المسيحية، وهذا يتطلب الإغتراف من يناييعنا الروحية. نحتاج الى تقوية مهاراتنا ودعم جماعات الخدمة في اماكن نقل البشارة وخدمة المجروحين. لقد عاش ميرتون وسط تجمعات الأمريكي والأوروبي والآسيوي قبل أن تفعل العولمة فعلها في يومنا هذا، فقرأ علامات الأزمنة ووضع اصبعه على جروح البشرية التي تئن من أوجاع كثيرة نعاني بعضها اليوم فكانت كتبه ومقالاته وقصائده ولا زالت مراجع قيمة لكل الساعين الى بناء حضارة المحبة.

ختاماً اخترت لكم هذه الصلاة التأملية التي ترجمتها لميرتون:

ربي والهي ، ليس لي فكرة الى اين انا ذاهب.

لا ارى الطريق امامي، لا اعرف بتيقن الى أين ينتهي، ولا انا افهم نفسي.
الحقيقة اعتقد اني بإتباعي ارادتك، لا تعني أنني حقا افعلها،
ولكني أومن إن الرغبة هي لجعلك راضيا، حقا تعمل لإرضائك.
وارجو أن تكون لي كل تلك الرغبة في كل ما افعله.
ارجو أن لا افعل ابدا اي شيء بعيد عن تلك الإرادة.
وأعلم أنه إذا فعلت هذا ستقودني بواسطة الطريق الصحيح.
على الرغم أنني لا اعلم شيئا عنها.
لذلك اثق بك دائما ، لأنني ربما إنني ضائع وفي ظل الموت.
لن أخاف، لأنك دائما معي، ولن تتركني ابداً كي اواجه الخطر وحدي. آمين.

المصادر:

1. Merton, T., 1949, *Seeds of Contemplation*, Hallis and Carter, London.
2. Merton, T., 1960, *Spiritual Direction and Meditation*, Liturgical Press, Collegeville, Minn.
3. Merton, T., 1975, *The Seven Storey Mountain*, Sheldon Press, London.
4. Merton, T., 1996 (a), *Turning Toward the World: The Journal of Thomas Merton*, ed. by Victor A. Kramer, [SanFrancisco, Calif], HarperSanFrancisco.
5. Merton, T., 1996 (b), *A Search for Solitude: The Journal of Thomas Merton*, ed. by Lawrence S. Cunningham, [SanFrancisco, Calif], HarperSanFrancisco.